الفصل الخامس

المنهج الشيوعى

منذ سنوات مكثت بضعة شهور فى السودان ، وفى هذه الأثناء فى حفل عام . قام أحد الشيوعيين وهاجم رسول الله ﷺ ، فى ذاته الشريفة وفى أهل بيته . . ، وهاج إخواننا السودانيون ، وهاجوا وهم أهل عاطفة دينية طيبة ، وهم أهل خلق كريم وشعور صالح ، وكان رد الفعل قريبًا .

وإذا بمنشور شيوعى يوجه إلى الشيوعيين ، ويشاء الله أن يكشف سترهم فيه :

يقول : إن هذا الدور من الهجوم لم يحن أوانه : وذلك أن السودان لم يهيأ بعد لمثل هذا الهجوم الذى سيأتى فى وقته المناسب ، وأمر المنشور الشيوعيين أن يبتعدوا على الهجوم المثير فى تلك الفترة إلى أن يهيأ الجو .

هناك إذن أدوار ، وهناك إذن تهيئة ، ماهى ؟ وكيف تكون ؟

إن من المعروف عند القاصى والدانى ، أن بين الشيوعية والدين عداءً مستحكمًا يمثله ماقاله أحد زعمائه :

« الدين أفيون الشعوب » . .

ويمثله ماقاله « كارل ماركس » اليهودى من أنه يجب أن يزول الدين من المجتمع . فلما قيل له :

ولكن الإنسان لابد له من عقيدة قال :

الهوهم بالمسارح فيتجه تفكيرهم نحو نجاح أو إخفاق المسرحية ونحو نجاح فلان فى دوره أو إخفاقه فيه أكثروا من المسارح فينصرف الناس عن الدين إليها .

ويمثله ماقرأناه أكثر من مرة ، وقد قرأته أنا أكثر من مرة فى جرائدنا نقلا عن الجرائد الشيوعية ، من أنها غاضبة لتهاون رجال الحكم فى تنفيذ الضربة الأخيرة فى القضاء على الدين .

وقضية عداوة الشيوعية للدين قضية لاينكرها إلا مراء أو منافق أو عميل أو جاهل !

وقد أحكم الشيوعيون الخطة : فى الدور الأول :

السخرية بعلماء الدين . بل السخرية بكل متدين ، والتهكم بهم ، وإظهارهم فى التمثيليات والمسرحيات والإذاعة والتليفزيون والصحافة بمظهر يثير الاستهزاء . . ونقدهم ، والإلحاح فى نقدهم ، وتلفيق تهم ، واختراع تهم ، ثم إذاعة ما لفق وإعلان ما افترى حتى يصبح شعور الشعب هينًا بالنسبة للمتدينين والممثلين للإيمان .

وحينئذ يبدأ الدور الثانى وهو : مهاجمة الدين فى فروعه .

حتى إذا مافرغ هذا الدور ، أصبح المجتمع مستعدًا لمهاجمة الدين فى أركانه وإعلان الإلحاد سافرًا ، وتعليم الإلحاد جهرة ، والدعوة إليه بكل وسيلة ! !

وكل ذلك بدهى لا يحتاج إلى زيادة إيضاح .

وإذا أخذت رؤساء الحزب ، فلن تجد فيهم إلا ملحدًا .

وإذا أخذت أعضاء الحزب فلن تجد إلا من يدعو إلى الإلحاد .

وإذا وجد فيهم المتدين فهو مأمور بذلك مسخر فى مهمة معينة .

ولكن هذه الأدوار التى ذكرناها : إنما تنشأ وتستمر متوالية على الترتيب الذى ذكرناه إذا كان المجتمع لم يحدث فيه انقلاب شيوعى .

أما إذا حدث انقلاب شيوعى فى قطر من الأقطار ، فإن الأمر يختلف ، وذلك أنه منذ أول الانقلاب تعلن الحكومة أنها علمانية ، وتحت ستار العلمانية وفى ظل هذا الشعار تغلق الحكومة معاهد الدين ، وتلغى تدريس الدين فى المدارس ، وتمنع التبشير بالدين ، وتنكل فى قوة . وفى عنف بعلماء الدين وبكل متدين .

وهناك أمثلة لا تنكر فى كل قطر حدث فيه انقلاب شيوعى ، فمثلا هذه القطعة من قطر حبيب إلى نفوسنا التى استغلت وأصبحت قطرًا وحدها فيها انقلاب شيوعى .

لقد لاقى علماء الدين فيها من ألوان العذاب مالا يحصى : حتى أنه كان يربط أحدهم — وهو فى سن متقدمة . تخطى السبعين — فى سيارة تجره على الأرض وتسير به حتى يتمزق جسمه . ويتناثر قطعة قطعة !

ما ذنبه ؟ ما جريمته ؟ إنه يقول : ربى الله ، إنه متدين ، وفى هذه القطعة من القطر الذى نحبه ، والذى أثنى على إيمانه رسول الله ﷺ ، كان العالم يقتل ثم يؤمر أتباعه ومحبوه — تحت تهديد المدافع الرشاشة — أن يدوسوا على جثته وهو ميت .

وفى هذه القطعة هتكت أعراض ، وشردت أسر ، ونكل بكل متدين !

ثم هذا القطر الذى نعتز بإسلام شعبه ، وكنا نأمل فى مستقبل إسلامه الخير الكثير . هذا القطر الذى حدث فيه انقلاب شيوعى ماذا حدث فيه ؟

وبماذا حدثتنا وكالات الأنباء عنه ؟

لقد بدأ فيه مباشرة إعلان العلمانية ، وإلغاء كل مايمكن أن يكون غير متناسق مع العلمانية ، ونضرب لذلك مثلا :

إن الله سبحانه وتعالى استفاض فى بيان الميراث وحدد الأنصبة : بالنصف والثلث ، والربع ، والسدس ، والثمن . . . إلخ ، وكان التحديد واضحًا لا لبس فيه ، والمحدد هو الله تعالى .

وكان من أقل درجات الإيمان أن يبين علماء الإسلام حكم الله فى الموضوع . فكتبوا إلى زعيم الانقلاب يبينون حكم الله فى الموضوع ، فماذا كان منه ؟

لقد اتخذ بالنسبة لهم موقفًا أفظع ما تكون المواقف . موقفًا تستنكره الإنسانية أشد استنكار ، ويستنكره الدين ، ويستنكره شعور الأمى ، وشعور المتعلم .

لقد قتلهم أشنع قتلة لأنهم بينوا حكم الله .

والواقعة صحيحة تثبت منها – من المصادر الرسمية – قبل أن أخط كلمة فيها .

بماذا يمكن أن يوصف هذا العمل ؟

قتل من يبين حكم الله فى أمر من الأمور . . . أذلك كفر من القاتل ؟

إنى أدع الحكم للقارئ !

أما البانيا :

ألبانيا التى كانت معقلا من معاقل الإسلام ، وخرجت الكثير من علمائه

الأتقياء ، فإن مساجدها خاوية على عروشها ، لقد أغلقت جميعها بالأقفال ، وألغيت معاهدها الدينية ، ومدارسها القرآنية ، وشرد الأتقياء فيها ، وكل متدين كان نصيبه إما القتل ، وإما التشريد ، وإما السجن ، وإما الفرار !

والمساجد فى روسيا كثير منها أصبح هياكل ومتاحف ، وبقى منها مايكفى ذراً للرماد فى العيون .

هذه هى الشيوعية : أهى على هذا الوضع إسلام ؟

أهى نصير للإسلام ؟

أم هى محطمة للتدين ؟

ومناصرها : أهو محب للإسلام ؟

أهو من المتقين ؟

أهو من المؤمنين ؟

أم هو من أعداء الله ورسوله ، إذ يناصرهم ويؤازرهم .

إن الله سبحانه يجيب عن ذلك فيقول سبحانه :

(لاتَجدُ قَوْمًا يؤْمِنُون بِالله وَاليومِ الآخِرِ ، يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُم أَوْ إخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولئكَ كَتَبَ فى قُلُوبِهُمُ الإيمانَ وأَيَّدَهُمْ بِرُوح مِنْهُ وَيُدْخِلُهمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالدِينَ فِيها رَضِىَ الله عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ أولَئِكَ حِزْبُ الله ألا إنَّ حِزْب الله هُمُ المُفلِحُون) .

ولكننا لم نتحدث بعد عن الحرية المفقودة ، والمساواة المعدومة ، والدكتاتورية الطاغية ، والغش ، والخداع ، والرعب .

ولكن الذى ذكرناه إنما كان منهجاً بالنسبة للدين ، وللشيوعية مناهج متنوعة مختلفة بالنسبة لمختلف الحالات ، وإن فيها منهجاً فى إثارة القلاقل والاضطرابات ، من ذلك ماذكره صاحب كتاب « الشيوعية على حقيقتها » يقول :

« وجه لينين نظر العصبة إلى ضرورة الاتصال بالعمال اتصالا عملياً ، وإعطاء حركتهم نزعة سياسية ، وعلمها كيف تغتنم الفرص لإلقاء ضرباتها ، فكانت كلما قام إضراب فى مصنع من المصانع ، تبادر إلى إصدار النشرات الاشتراكية لاستفزاز العمال ، وإيغار صدورهم على أصحاب الأموال وعلى الحكومة ، بحجة أنها تحمل هذا الاستغلال ، وكانت النشرات توزع فى المصنع المضرب ، وفى غيره من المصانع فى وقت واحد ليكون للتحريض الأثر المطلوب .

ومن ذلك مايرسمه كاتب عن الخطة الشيوعية ، يقول :

« ولينفذ الشيوعيون الخطة الشيوعية التى تقضى بالتسلل إلى مختلف الطوائف والهيئات بالطرق الآتية :

١ – التسلل إلى الاتحادات والنقابات المهنية والعمل على السيطرة عليها ، ثم توجيهها توجيهاً يلائم أغراض الشيوعية العالمية .

٢ – التغلغل فى منظمات الطلبة والعمل على تزعم تكتلاتهم ، واستدراج أكبر عدد منهم للإيمان بالشيوعية كوسيلة للإصلاح .

٣ – تكوين جبهات مع الهيئات المعارضة للحكومة يكون لها برنامج متفق عليه ، وهدفها القضاء على نظام الحكم .

اصطلاحاتهم :

ومما يتصل بالمنهج أنهم يصطنعون صيغًا ويخترعون مصطلحات تشوه الواقع ، وتموه الحقائق ، وتخدع الذين يقعون فى حبائلهم ، وقد تنبه الكتاب الشرقيون والغربيون لذلك ونبهوا عليه ، فقالوا عن الشيوعيين :

إنهم يسمون ديكتاتورية الحزب الشيوعى الإرهابية « ديكتاتورية العمال الديمقراطية » .

ومصادرة أملاك المزارعين واستصفاء أموالهم بالإرهاب والإجاعة « التنازل الاختيارى عن الممتلكات للدولة » .

ويطلقون على التفاوت الصارخ لمستوى الحياة وأحوال المعيشة فى داخل الجمهورية السوفيتية « انتصار الواقعية الاشتراكية » .

ويسمون قتل من يشتبهون فى ولائهم ويشكون فى إخلاصهم « القضاء على أنصار الاستعمار الفاشى » .

ويسمون الأكاذيب التى يخترعونها ويذيعونها ، وحضهم العمال فى البلاد الديمقراطية على إفساد الآلات والتخريب والهدم وبث الرعب فى كل مكان « دفاع البروليتاريا عن أنفسهم ضد أعدائهم » .

ويسمون البؤس والشقاء والحرمان الذى يقاسيه الشعب الروسى « الجنة التى ينعم فيها الشعب فى أرض الاشتراكية » ! !

يقول « سيودى جويو » :

« لقد نسج الشيوعيون نظرية فى السرقة سموها : تعويض المحرومين » ..

ويقول الأستاذ مظهر :

لقد سموا السرقة تعويضاً للمحرومين .

وسموا المعدم محرومًا .

وسموا الإمعة مغبونًا .

وسموا الفاشل مظلومًا .

وسموا الأخرق البليد عبدًا مأجورًا .

وسموا العاجز مستغلاً .

وسموا المتعطل خالقًا للثروة ومنشئًا للقيم الاقتصادية .

وسموا الدهماويين شعبًا .

وسموا الثوريين المتطرفين طلاب الهدم والتخريب ، وإراقة الدماء الذائدين عن حقوق الإنسان .

ويعقب الأستاذ مظهر على ذلك فيقول :

« كل هذه استتارة للأحقاد ، ووضع لمعانى الألفاظ فى غير موضعها تضليلا للناس وخلق تعريفات جديدة للكلمات توافق المزاج الشيوعى » .